آيات التعظيم للذات الإلهية في القرآن الكريم

– دراسة بلاغية تحليلية –

آيات مختارة

Verses of Glorification of the Divine Essence in the Holy Quran

- An Analytical Rhetorical Study –

Selected Verses

م.د. عامر سعدون محمد بشير أغا العبادي*

Assit prof Dr. Amer Saadoun Mohammed Bashir Agha Al-Abadi

amer.mohammed@uomosul.edu.iq

https://orcid.org/my-orcid?orcid=٠٠٠٩-٠٠٠٨-٦١٥٨-٦٢٩١

الملخص

آيات العظمة – التي عظم الله بها نفسه – كثيرة في كتاب الله ، تنوعت بتنوع مواضيع القرآن الكريم ، وهذه الآيات وردت فيها **فنون بلاغية** ، كشفت عن دلالات وجماليات **النظم القرآني المعجز** في بيان **عظمة** الله ومقدرته المطلقة ، **والفنون البلاغية** ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي **أدوات تعين الباحث وترفده** في تلمس الدلالات والجماليات في النص القرآني وفي غيره ، ومن **آيات العظمة** في كتاب الله التي تكشف عن **عظيم صنع الله** – تعالى– ومقدرته المطلقة ، وأنه **مالك الملك** ، وأن العباد كلهم خاضعين له، وأن أمره نافذ دون تراخ بل بلمح البصر بل أقرب، والأرض والسموات جميعهما تحت

* جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

University of Mosul / College of Basic Education / Department of Arabic Language

تصرفه وملكهِ يوم القيامة في مشاهد يخاطب فيها من لم يعظمه، وأن **الماء قد غضب لغضب الله** – تعالى– في قصة سيدنا نوح (عليه السلام) فنزل بدون أذن خزّانه، وقد حمل الله المؤمنين من قوم نوح (عليه السلام) في خطاب مباشر لمن نزل فيهم القرآن تغليباً لهم ومراعاة لحالهم وتنبيها لهم، وتذكيراً لكل أذنٍ تعي **عظمة الله** وتتعظ، وقليل من يتعظ، وكل هذه المعاني وردت فيها **فنون بلاغية** كشفت عن **دلالات بيانية** وهي: الخبر والإنشاء و التشبيه والاستعارة والمجاز العقلي والكناية والطباق والمقابلة وغيرها.

الكلمات المفتاحية : عظمة – مقدرة – البلاغية – الدلالة – البيانية .

abstract

The verses of greatness - by which God magnified Himself - are numerous in the Book of God, varying with the diversity of the topics of the Holy Qur'an. These verses contain rhetorical arts that reveal the meanings and aesthetics of the miraculous Qur'anic system in explaining God's greatness and absolute power. Rhetorical arts are not intended for their own sake, but rather they are tools that help the researcher and support him in exploring the meanings and aesthetics in the Qur'anic text and in other texts, Among the signs of greatness in the Book of God that reveal the greatness of God's creation - the Most High - and His absolute power, and that He is the Owner of the Kingdom, and that all servants are subject to Him, and that His command is executed without delay, but rather in the blink of an eye, or even sooner, and the earth and the heavens are all under His control and ownership on the Day of Resurrection in scenes in which He addresses those who did not glorify Him, and that the water became angry because of God's anger - the Most High - in the story of our master Noah (peace be upon him) So it descended without the permission of its keepers, and God carried the believers from the people of Noah (peace be upon him) in a direct address to those among whom the Qur'an was revealed, giving them precedence, taking into account their situation, alerting them, and reminding every ear that understands the greatness of God and takes heed, and few take heed, All these meanings are expressed through rhetorical devices that reveal figurative meanings, namely: statements, constructions, similes, metaphors, mental metaphors, metonymy, antithesis, contrast, and others.

Keywords: Greatness – Ability – Rhetoric – Semantic – Expression .

آيات التعظيم للذات الإلهية في القرآن الكريم

– دراسة بلاغية تحليلية –

آيات مختارة

م.د. عامر سعدون محمد بشير أغا العبادي

المقدمة

الحمد لله العظيم الواحد المتعال، بديع السماوات والأرض ذي العزة والجلال، من خضعت له رقاب الخلق ، فهو الرحمن الرحيم بعباده، الجبار المنتقم مِمَّن نازعه في ملكه، أحمده دائماً وأبداً، وأصلي وأسلم على خير من عظَّم الذات العلية، وخير مَن وصفها بالصفات القدسية ، فكان محبوباً ومُحِباً حتى كان خير البريَّة، وعلى آله ذوي الهمم العلية، وصحابته الكرام ذوي المراتب السنية.

أمَّا بعد : فإنَّ أعظم ما اشتغل به العلماء، وأفضل ما بحث فيه الفضلاء هو ما يجب وما يستحيل في حق الذات القدسية، من تعظيمها وتنزيهها عن كل ما لا يليق بها، ولا ريب أنَّ أفضل التعظيم هو ما عظَّم الله نفسه في كتابه الكريم من صفات العظمة والجلال .

وقد عظَّم الله . تعالى . نفسه في القرآن الكريم تعظيماً في غاية الكمال، وبيَّن وأوضح تمام ملكه وإحاطته بكل شيء، فلا يخرج عن ملكه شيء، ولا يخفى عليه شيء، وورد تعظيم الله لذاته في مواضع مختلفة ، وبأساليب بلاغية متنوعة ، كأسلوب القصر، نحو:﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (البقرة: من الآية:)٢٥٥. وبأسلوب الخبر المؤكد، نحو:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان: من الآية :)٣٤. وبأسلوب الاستفهام نحو: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: من الآية: ١٦) . وبأسلوب الإنشاء ومنه أسلوب الأمر، نحو:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الاخلاص: ١). والتشبيه في نفي الشبيه على أكمل وجهٍ، نحو:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية: ١١). وغيرها من الأساليب.

وهذه الأساليب البلاغية فيها من الفنون البلاغية والدلالات البيانية التي تصور عظمة الله – تعالى– وتبين مقدرته المطلقة وتظهر علو شأنه . جلَّ شأنه . ، وقد حاولت جاهداً كشف معاني الآيات والوقوف على الفنون البلاغية والدلالات البيانية التي كشفت وصورت عظمة الله–تعالى–، لأن الفنون البلاغية ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي أدوات لكشف مقاصد النص وجماليته وأبعاده ودلالته البلاغية، وقد اقتصرت على خمسة مواضع، لأن العبرة في تقصّي دلالات الموضوع وكشف معانيه، وليس العبرة بالكثرة، وآيات العظمة في كتاب الله والمواضيع التي جاءت فيها كثيرة لا تعد ولا تحصى، لا يحيط بها

بحث صغير مثل هذا، قال- جَلَّ جلاله -: ﴿ قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف: ١٠٩.

واخترت هذه الدراسة لأهميتها في ايقاظ الهمم وتصور عظمة الله ومعرفة أسرارها. واتبعت المنهج التحليلي التفسيري البلاغي للآيات مستعيناً بأمهات كتب التفسير التي اعتنت بالجانب البلاغي منها تفسير (الكشاف) للزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، و(روح المعاني) للآلوسي(ت١٢٧٠هـ) ، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) وغيرها من التفاسير، وكتب البلاغة.

وأسأله – تعالى – : أن يفتح عليَّ فتوح العارفين ، وينور بصيرتي بالقرآن الكريم، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الطيبين وصحابته الغُرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الموضع الأوَّل

قال الله – تعالى – : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة : ١١٦ – ١١٧ .

يقصُّ الله لنا قول بعض الكافرين واعتقادهم الفاسد بنسبتهم الولد له – سبحانه وتعالى عما يقولون- . وقد نزَّه الله نفسه واستبعد الولادة وأكَّدَ بالإضراب بـ (بل) : بأنه يتصرف بكل شؤون السموات والأرض وأكَّدَ أنَّ الكل خاضعة له ولا تحيد عن أمره .

قال الطيبي (٧٤٣هـ) : " وذلك أنَّهُ – تعالى – لمَّا حكى قولهم : (اتخذ الله ولدا) وأضرب بقوله : (بل له ما في السموات والأرض) دلَّ بمنطوقه على كونه مالكاً للكل، لا يخرج شيء عن ملكه وملكوته ، وقوله : (كل له قانتون) دل على كونه – تعالى – قهاراً ، وأن الأشياء كلها مقهورة تحت تصرفه ،

لا يمتنع شيء منها على تكوينه وتقديره ، ولو فُرِضَ شيءٌ لوجب دخوله تحت ملكه وقصده بدلالة هذا العموم (كلٌّ) فكيف يتصور له ولد ؟ لأنّهُ لا يجانسه في المالكية والقَهَّارية " [١].

ومن عظمته – تعالى – ومقدرته المطلقة أنه : (بديع السموات والأرض) ، أبدع في خلقها وفي ديمومتها إلى أجلها .

و(بديع السموات) من إضافة الصفة المشبهة (بديع) الى فاعلها ، أي : بديع سمواته وأرضه [٢]، والبديع على وزن (فعيل) من الفعل (أبدع) أي : " أبدع الله – تعالى – الخلق إبداعاً : خلقهم لا على مثال " [٣] ، أي : ليس هناك من يَقْدِر على خلق مثلِهم . و(البديع) كأنَّ معناه : " أنَّهُ – تعالى – منفردٌ بذلك من غير نظائره ، وفيه معنى التعجب " [٤] ، أي : يتعجب الخلق من بديع صنعه وعظمة خلقه.

وقوله – تعالى – : (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ، (كن) هنا فعل أمر من (كان) التامَّة ! وليس الناقصة الناسخة ! وإنما هي تامَّة بمعنى : (أحدث فيحدث) ، وهذا الأسلوب مجازٌ من الكلام وتمثيل للمعنى ، أي : مجاز بالاستعارة التمثيلية ، ولا يوجد كلام ولا قول على الحقيقة [٥] . قال الطيبي (٧٤٣هـ) : " شبهت الحالة التي تتصور من تعلق إرادته – جلَّ شأنه – بشيء من المكونات ، ودخوله تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف بحالة أمر الآمر النافذ تَصُّرفه في المأمور ، المطيع الذي يُؤْمر فيمتثل ، ثُم استعير لهذه الحالة ما كان مستعملاً في تلك الحالة ، فإذن لا قول ثمة " [٦] .

---

(١) فتوح الغيب : ٦٢/٣ .

(٢) ينظر : الكشاف ، الزمخشري : ٩٢ .

(٣) المصباح المنير ، الفيومي : ٥٣/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٥٢/١ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٩٣–٩٤ .

(٦) فتوح الغيب ٦٢/٣ .

فأمر الله – تعالى – يكون ويحصل دون تراخٍ ودون تأخير ! بل يحدث في أيسر مدة وأقل زمن، بمنزلة قول القائل لشيء : (كن فيكون) ، ثم استعير المشبه به للمشبه [١] ، وحذف المشبه فكانت استعارة [*] تمثيلية صورت سرعة الأمر ونفاذ القضاء بمنْ يقول للشيء (كنْ) وفي الحال (يكون) دون تراخٍ ، بل بلمح البصر.

المشبه : قضاء أي أمر من جانب الله – تعالى – يكون دون تراخٍ ودون مشقه ، ويحدث في أيسر مدة .

المشبه به : بمنزلة قول القائل : (كنْ فيكون) . والاستعارة التمثيلية هنا تصور عظمة الله – تعالى – وسرعة نفاذ أمره ، ومقدرته المطلقة – سبحانه وتعالى – .

الموضع الثاني

قال الله – تعالى – : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آل عمران : ٢٦ .

الخطاب من الله – تعالى– موجه لحضرة وجناب سيدنا محمد (صلَّى الله عليه وعلى آله و صحبه وسلَّمَ) ، وموجَّهٌ أيضاً لعموم المؤمنين ، أي : قل يا محمد يا حبيب الله ، وقد ورد هذا الفعل كثيراً في القرآن الكريم " فهو أمر بتبليغ الوحي الذي يتلقاه (عليه الصلاة والسلام) من الله الحكيم العليم ، ومن بلاغته الدلالة القاطعة على صدقه وأمانته (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ ما يُوحَى إليه ، فهو أول المخاطبين وأشرفهم وأكرمهم لأنه النبي الرسول والأسوة الحسنة والإمام للناس جميعاً (صلاة ربي وسلامه عليه) ، وثَمَّ هو خطاب لأمته تبعاً " [٢] .

---

(١) ينظر: البيان في ضوء اساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين : ١٩١ .

(*)عند حذف المشبه أو المشبه به ينتقل التشبيه إلى الاستعارة .

(٢) لطائف بلاغية قرآنية ، د. أحمد فتحي رمضان : ٢٠٤/١ .

وقوله – تعالى – : (اللهم) أصلها عند الخليل (١٧٣هـ) و سيبويه (١٨٠هـ) وجميع البصريين (يا الله) ، والميم المشددة عوضٌ من (يا) [١] .

وأما عن خصوصية النداء بـ (اللهم) في كلام العرب فهو خاص بنداء الله – تعالى – في الدعاء ، ومعناه يا الله ، وهذا من بلاغة الإيجاز والاختصار [٢] .

ونقل بعض المفسرين أن : من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه [٣] .

و(قل) فعل أمر ، فالجملة إذن إنشائية بصيغة الأمر ، و(اللهم) جملة إنشائية أيضاً بصيغة النداء ، وقد اجتمع الأمر مع النداء لبيان أمر عظيم ، بيان مقدرة الله – تعالى – وعظمته التي تتجلى بتصرفه المطلق في مخلوقاته كافة ، فهو المتحكم الذي لا يعجزه شيءٌ من مخلوقاته.

لذا نجد بديع النظم في هذا الموضع ، ومن المقتضيات الدالة على عظمته – تعالى – مجيئ النداء بـ (اللهم) " المنبِئ عما بعده ، والدال بحقٍ على العظمة ، فهو نداء يَستدل منه السامع على عظمة الحق – تبارك وتعالى – ، فهو كالعنوان الدَّال على موضوع الكتاب وهو نوعٌ من البديع " [٤] ، ويطلق عليه (براعة الاستهلال) [*] . فالنداء بصيغة (اللهم) يدل على عظمة الله – تعالى – وتمام ملكه .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، الرازي : ١٨٥/٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٢١٢/٣ . ولطائف بلاغية قرآنية : ٢٠٣/١ .

(٣) ينظر : فتح البيان ، القنوجي ، ٤٠٨/١ .

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس : ٣١١/٢ .

(*) (براعة الاستهلال) أو (حسن المطلع) أو (حسن الابتداء) وهو : أن يُضمّن معنىً ما سيق الكلام لأجله ؛ ليكون الابتداء دالاً على المضمون ودَالاً على الانتهاء ، وأحسنه ما ناسب المقصود . ينظر : تلخيص المفتاح : القزويني : ٢٥٧ . والتبيان في البيان، الطيبي : ٣٧٨ .

وقوله : (مالك الملك) وصفٌ خاصٌّ به – تعالى – يَدُلُّ على ملكه التام ، قال الجصَّاص (٣٧٠هـ) : " إنَّهُ صفة لا يستحقها إلا الله تعالى " [١] . فهي صفة خاصة به – تعالى – مثل (ذو الجلال والإكرام) و (الرحمن) وغيرهما .

وقال البغوي (٥١٠هـ) : " قال الله – تعالى – في بعض الكتب : " أنا الله ملك الملوك ، (ومالك الملوك) ، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي : فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة ، وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة ، فلا تشتغلوا بسب الملوك ، ولكن توبوا إليَّ أعْطِفهم عليكم " [٢] .

قال – تعالى – : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس : ٨٧ ، و(**الملكوت**) هو الملك التام ، قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ) : " والملكوت أبلغ الجميع " [٣] ، والحقيقة أنها أبلغ في سياقها ، لأن سورة (يس) المكية أكثر خطابها عن مقدرة الله وعظمته ، وجاء الخطاب في نهاياتها متحدثاً عن عظمة الله في إحياء الموتى، وأنَّهُ ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس : ٨٢ . لذلك جاءت كلمة (ملكوت) لتدل على **الملك التام** وختم الله بها السورة – والله أعلم – .

قوله – تعالى – : ﴿ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ آل عمران : ٢٦ . قال الزمخشري (٥٣٨هـ) : " أي : تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملّاك فيما يملكون ، (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك ، (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذي أعطيته منه، فالملك الأول عام شامل ، والملكان الآخران خاصَّان بعضَان من كل " [٤].

والملك لفظ عام فيدخل فيه كل أنواع الملك المادي والمعنوي ، قال الرازي (٦٠٦هـ) : " إن قوله – تعالى – (تؤتي الملك من تشاء) محمولٌ على جميع أنواع الملك ، فيدخل فيه ملك النبوة (وهو أعلى

(١) أحكام القرآن : ٢٨٨/٢ .
(٢) معالم التنزيل : ٤٢٥/١ .
(٣) الدر المصون : ٢٨٧/٩ .
(٤) الكشاف : ١٦٧ .

وأسمى الكل) ، وملك العلم (ويأتي بعده) ، وملك (العقل) ، والصحة ، والأخلاق الحسنة ، وملك النفاذ والقدرة (المنصب) ، وملك المحبة ، وملك الأموال " [١] . ويعلل ذلك بأن لفظ (الملك) عام وتخصيصه من غير دليل لا يجوز [٢] .

أما الطيبي (٧٤٣هـ) فيرى أنَّ الأظهر في الآية أنه يعني الملك الحقيقي ، أي الظاهر المادي ، وقد أضافه الله إلى نفسه تعظيماً وتبجيلاً قال : " فالملك ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم ... ، والأظهر في الآية أنَّهُ يعني الملك الحقيقي ، لقوله – تعالى – : ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ البقرة : من الآية : ٢٤٧ . فأضافه إلى نفسه تعظيماً، وملكه المطلق هو الملك الإلهي الذي لا جور فيه ، ولهذا قرنه بالعز والذل ، ونبَّه بقوله : (مالك الملك) أن الملك في الحقيقة له ، وما لغيره عارية مستردة " [٣].

وما ذهب إليه الرازي أشمل وأوسع وتحتمله اللغة .

و (النزع) ليس على الحقيقة ! إنما هو مجاز بالاستعارة ، وأصله إزالة الشيء من مكانه ، قال ابن فارس (٣٩٥هـ) : " النون والزاي والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على قلع شيء، ونزعت الشيء من مكانه نزعاً " [٤] ، ومنه نزع الروح ، لكن النزع هنا مجاز، قال الزمخشري (٥٣٨هـ) : " ومن المجاز : نزع الأمير العامل عن عمله " [٥] .

وقد تكلم ابن عاشور (١٣٩٣هـ) عن أصل الكلمة وذكر أنها استعارة من المعنى الأصلي ، قال : " كنزع الثوب ، ونزع الماء من البئر، ويُستعار لإزالة الصفات والمعاني ، كما قال – تعالى – : ﴿ وَنَزَعْنَا

(١) مفاتيح الغيب : ١٨٩/٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٩/٨ .

(٣) فتوح الغيب : ٢ / ٦٧–٦٨ .

(٤) معجم مقاييس اللغة : ٤١٥/٥ .

(٥) أساس البلاغة : ٢٦٢/٢ .

مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الأعراف : من الآية ٤٣ ، بتشبيه المعنى المتمكن بالذات المتصلة بالمكان، وتشبيه إزالته بالنزع ، ومنه قوله هنا : (تنزع الملك) أي : تزيل وصف الملك ممن تشاء " [١] .

واستعارة النزع لإزالة صفة السلب (سلب الملك) توحي – حتى دلالتها الصوتية – بقوة السلب ومقدرة الله – تعالى – وعظمته ، فلا يعجزه ولا يقهره شيء – سبحانه – .

وأما قوله – تعالى – : (بيدك الخير) ، فإن اليد هنا تؤوَّل بالقدرة ، أي : " بقدرتك وتصديقك وقع الخير ، ويستحيل وجود اليد بمعنى الجارحة لله – تعالى – " [٢] . فهو تعالى لا يشبه البشر.

قال الرازي (٦٠٦هـ) : " فاعلم أن المراد من اليد هو (القدرة) ، والألف واللام في الخير يوجبان العموم ، فالمعنى : بقدرتك تحصل كل البركات و الخيرات " [٣] ، ونبه على دلالة الحصر (التخصيص) والتعريض في أسلوب تقديم الجار والمجرور في (بيدك) ، كأنه قال : بيدك الخير لا بيد غيرك ، وهو تعريض بغيره ممن لا يملك الخير ولا الشر [٤] . وفي هذا دلالة على مقدرة الله وعظمته وتصرفه المطلق وأنَّ الخير بيده لا بيد غيره – جَلَّ شأنه – .

وذكر ابن عاشور أن (بيدك الخير) تمثيلٌ للتصرف الإلهي المطلق في جميع الأمور ، فهي " تمثيل للتصرف في الأمر ؛ لأنَّ المتصرف يكون أقوى تصرفه بوضع شيءٍ بيده ، ولو كان لا يوضع في اليد! " [٥] .وإنما ذكر اليد لتقريب الصورة ـ والله أعلم ـ .

وذكر الله – تعالى – الخير وخصَّه بالذكر دون الشر ، وإن كان قادراً قدرة مطلقة على الخير والشر ، لأنَّ الخير مرغوب في فعله [١] ، أي: يرغب فيه ، أو لأنَّ الخير تفضَّلٌ محضٌ بخلاف الشر ، فإنَّهُ قد يكون جزاء وعقوبة لعمل أو لمخالفة أمر الله – تعالى – [٢] .

---

(١) التحرير و التنوير : ٢١٢/٢ .

(٢) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي : ٨٧/٣ .

(٣) مفاتيح الغيب : ١٩٠/٨ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٩٠/٨ . وإرشاد العقل السليم ، أبو السعود : ٢١/٢ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢١٣/٣ .

وإذا تأملنا في الآية الكريمة ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ نجد العظمة في التصوير والدقة والروعة في الأسلوب ، إذ نقف عند الفنون البديعية في الآية (الطباق والمقابلة) [٣] ! فالطباق بين (تؤتي وتنزع) وبين (تعز وتذل) [٤] ، والمقابلة بين (تؤتي الملك من تشاء) و (تنزع الملك ممن تشاء)، وبين (تعز من تشاء) و (تذل من تشاء) ، والتي ولَّدَت دلالة التقابل بين اتيان الملك وسلبه، وبين العزة والذلة ، وأنَّ الأمر بيد الله العظيم العادل المقسط . " وصور إتيان الملك ونزعه كثيرة في القرآن ، والإعزاز والإذلال كذلك ، كلها تُضيء الآية بمعانيها ، وقد تشكلت في الآية بأسلوب بياني بليغ ، هو أسلوب (المقابلة الضدية) أو (الطباق المركب) بأفعاله الدّالة على عظمة القدرة الإلهية المقتدرة المتفردة ، وحكمته – سبحانه – " [٥] .

أما قوله : (مَن تشاء) فإن هذا النظم والأسلوب الذي يظهر فيه أمران كبيران : العموم في كلمة (مَن) والإرادة المهيمنة التي تدل على العظمة الإلهية في قوله : (تشاء) ، " أليس هذا النظم في هذا الأسلوب يجعل الإنسان في حذر دائم ، لأنَّهُ لا يملك لنفسه شيئاً ، وإنما ما شاء الله كان " [٦] ، وأن الأمر بيد الله العظيم المتفرد بصفات الجلال والجمال – سبحانه– فهو القاهر فوق عباده .

---

(١) ينظر : النكت والعيون ، الماوردي : ٢٨٤/١ .

(٢) ينظر : فتح البيان : ٤٠٩/١ .

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها : ٣١٢/٢ .

(٤) ينظر: التبيان في البيان : ٢٨٤ .

(٥) لطائف بلاغية قرآنية، أحمد فتحي رمضان : ٢٠٦/١ .

(٦) البلاغة فنونها وأفنانها : ٣١٢/٢ .

الموضع الثالث

قوله – تعالى – : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران : ٢٧ . يبين الله – تعالى – مقدرته وعظمته وآياته الظاهرة البيّنة بذكر حال الليل والنهار في التعاقب بينهما ، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر بقدرته تعالى وبأنفاس لطفه ، وكلها توحي بعظمته – تعالى – [١] .

وقوله – تعالى – : (تولج) ليس على الحقيقة ! وإنما هي بمعنى (تُدخل) ، قال الزمخشري (٥٣٨هـ) : " ولج في البيت ، وتولَّج ..... ودخلوا الولج ، والوَلَجَة وهو ما كان من كهف أو غار يُلْجَأ إليه ..... والوليجة (كما جاء في كتاب الله) من الولائج : بطانة " [٢] ، لذا فإن الولوج في الأصل (الإدخال) ، واستعير لزيادة زمان النهار في زمان الليل وعكسه [٣] .

فـ (تولج) مجاز بالاستعارة ، والاستعارة هنا تصور ظاهرة الليل والنهار وتعاقبهما بالدخول ، وقد جاء الأسلوب القرآني بلفظ (تولج) استعارة لـ (تدخل) . قال ابن عاشور (١٣٩٣) : " وحقيقة (تولج) تدخل ، وهو هنا استعارة لتعاقب ضوء النهار وظلمة الليل ، فكأن أحدهما يدخل في الآخر" [٤] .

وجاء التعبير القرآني بـ (تولج) لما فيه من دلالة الضم أو الدخول العام في النهار فيختفي الليل ، وبعكسه يختفي النهار والاستعارة هنا تصور مقدرة الله وعظمته في تعاقب الليل والنهار ودخول أحدهما في الآخر.

---

(١) ينظر: الكشاف : ١٦٧ .

(٢) أساس البلاغة : ٣٥٣/٢ .

(٣) ينظر : روح المعاني : الآلوسي : ١١٢/٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢١٤/٣ .

وفي قوله – تعالى– : (تولج) و (تخرج) من بديع التعبير والنظم يتمثل في الجناس الناقص (*) " إذ جاءتا في صيغة المضارع الدَّالة على التجدد دائما، وهما صورتان في الكون والحياة ، صورة **الزمان** وصورة **الخلق** " (١) . صورتان تدلان على **عظمة** الله الخالق العظيم وتوحيان ببديع صنعه ـ تعالى ـ .

وقوله – تعالى – : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، روي عن سيدنا الحسن البصري (١١٠هـ) وعن أئمة البيت (سلام الله عليهم) أن الحي والميت مجازيان (٢) ، وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ): " والقائلون بعموم المجاز قالوا : المراد تُخرج الحيوانات من النطف والنطف من الحيوانات ، والنخلة من النواة والنواة من النخلة ، والطيب من الخبيث والخبيث من الطيب ، والعالم من الجاهل والجاهل من العالم، والذكي من البليد والبليد من الذكي إلى غير ذلك " (٣) . فيخرج الرجل التقي من الفاسق وعكسه فهو القادر ، والهداية والرشد والولاية رزق يهبه الله لمن يشاء .

وفيه إشارة ودلالة رمزية إلى ظهور الهدى والملك في أمة أميَّة ، وهي أمة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وظهور ظلال الكفر في أهل الكتابين ، وزوال ملك الكفار وأهل الكتابين ، بقرينة افتتاح الآية التي قبل هذه الآية بقوله : (قل اللهم مالك الملك) (٤) .

وقوله – تعالى – : (وترزق من تشاء بغير حساب) هذا الأسلوب فنٌّ بلاغي يُدعى التذييل (*) ، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : " هو كالتذييل لذلك كله " (٥) ، والرزق هو : بكل ما ينتفع به الإنسان فيطلق

(*) الجناس الناقص : أن تختلف الكلمتان في نوع الحروف أو في شكلها ، أو في عددها ، أو في ترتيبها ، ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها : ٢٩٧/٢ .

(١) المصدر نفسه : ٣١٢/٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١١٤/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١١٤/٢ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير : ٢١٥/٣ .

(*) التذييل ، هو أن يقطع الكلام وينهيه بما يشتمل على معناه وخلاصته توكيداً . ينظر : التبيان في البيان : ٢٠٧ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢١٥/٣ .

على الطعام وغيره ، ويطلق أيضا على ما هو أعم من ذلك مما ينتفع به ، أي : كل وجوه المنفعة مما يهبه الله لعباده . وفي هذه الجملة اشارة وبشارة للمسلمين مما أخبِئَ لهم من كنوز فارس والروم وجميع الملوك [١] .

وعطف جملة : (وترزق من تشاء بغير حساب) . عطفها على ما قبلها " دلالة على أنَّ من قَدَر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ، ثُمَّ قَدَر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده ، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ، و يؤتيه العرب ويعزهم " [٢] وما ذلك على الله بعزيز ، وإنَّ وعد الله لآت . وبهذه الدلالات المعبرة الموحية تتجلى قدرة الله . تعالى . وعظمة سلطانه ، قال . عزَّ سلطانه :﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ الرحمن : من الآية : ٢٩. يرفع أقوام ويضع أقوام .

الموضع الرابع

قال الله – تعالى – : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر : ٦٧ .

يبن الله تعالى عظمته في مشهد من مشاهد يوم القيامة ، مشهد عظيم ومخيف ومهيب ، وجاء بأسلوب جزل مسبوك ، بأسلوب الكناية ، إذ جاء النفي بـ (ما) : أي ما عظموه حق عظمته ، وما عرفوه حق معرفته حين أشركوا به غيره .

و قُرِئَ بالتشديد (وما قدَّروا الله حق قدره) على معنى وما عظموه تعظيماً يليق بذاته [٣] . أو وصفوه بما لا يليق بذاته الجليلة ، قال ابن عباس (٦٨هـ) " فمن آمن إنَّ الله على كل شيء قدير، فقد قَدَّر الله حق قدره " [٤] .

---

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٥/٣ .

(٢) الكشاف : ١٦٧ .

(٣) ينظر : لباب التأويل، الخازن : ٦٣/٤ ، وفتح البيان : ٨٣/٦ .

(٤) البحر المديد ، ابن عجيبة : ١٠٠/٥ .

وقد ذكر الطيبي (٧٤٣هـ) أن هذا الأسلوب من باب الكناية من قولنا : فلان عظيم القدرة ، « لمَّا تعورف واستمر بين الناس أنَّ العظيم إذا عُرِف حق معرفته عُظّم حق تعظيمه ، ولمَّا لم يوجد ذلك في حق الملك العظيم ذي الملك والملكوت والجلال والجبروت قيل : (وما قَدَروا الله حقا قدره) والأسلوب من باب الكناية " [١] .

وإنما وصفهم بهذا الوصف الكنائي ، أي : نفى عنهم تعظيمهم لله ؛ لأنهم عبدوا غير الله ، وأمروا رسولهم بأن يكون مثلهم في عبادة غير الله [٢] .

ويوجه الطيبي (٧٤٣هـ) الكناية في هذا الموضع بقوله : " والأسلوب من باب الكناية ، لأنَّ تعظيمك الشيء واحترامك اياه وقيامك بواجبه مستلزم لتقديرك إياه في نفسك حق تقديره ، وهو مستلزم لأن تكون : قد عرفته حق معرفته ، فذكر اللازم الوسط ، وأريد الملزوم ، كما يقال : فلان نحار ، أي : مضياف ، بدل مهزول الفصيل " [٣] .

وفي الآية : (وما قَدَروا الله حق قدره) تنبيه على عظمته – تعالى – ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة (التمثيل والتخييل) ، والمراد بـ (التخييل) التصوير، بأن تتخيل عند ذكرنا لهذه الأمور في أذهاننا معنى ، عظمة الله وجبروته ، حتى تمتلئ قلوبنا مهابة وخشية من الله – تعالى – [٤] .

وقوله – تعالى – : (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) فالأرض جميعها بلا استثناء – ظاهرها وباطنها وكل نواحيها – وهي تحت تصرفه ورهن إرادته . " والمراد بالأرض (الأرضون السبع)، يشهد لذلك قوله – (جميعاً) وقوله : (والسموات) ، لأنَّ هذا التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع ،

---

(١) فتوح الغيب : ٤٣٠/١٣ .

(٢) ينظر : فتح البيان : ٨٣/٦ .

(٣) فتوح الغيب : ٤٣٠/١٣ .

(٤) ينظر: البحر المديد : ١٠٠/٥ .

ولأن الموضع موضع تعظيم ، فهو مقتضٍ للمبالغة ، والمعنى والأرضون جميعاً ذوات قبضته ، يقبضهن قبضة واحده " [١] .

وقدم ذكر الأرض على السموات ؛ لمباشرتهم لها ، وعيشهم فيها ، ومعرفتهم بحقيقتها [٢] .

وقد شبه الله الأرض بالشيء يكون في قبضة الممسك به ، فهو متمكن منه يتصرف به كيف يشاء ، ثُمَّ حذف المشبه واستعير المشتبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية [٣] .

والقبضة تؤول بالتمكن والقدرة المطلقة . والاستعارة التمثيلية في الآية صورت مقدرة الله وعظمته وعظيم شأنه ، وتصرفه المطلق في الأرض جميعاً في كل أطرافها وفي كل صغير وكبير ظاهر وباطن فيها .

وإنما خصَّ يوم القيامة بالذكر وإن كانت قدرته عامة وشاملة للدنيا والآخرة ، لأن الدعاوى تنقطع في ذلك اليوم ، ويكون الهم هو هم المَوقِف : أي : هَمُّ يوم القيامة [٤] .

جاء في الحديث النبوي الشريف : يقول سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) " ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض " [٥] ، والحديث يظهر عظمة الله – تعالى – وقدرته المطلقة، وهو مشهد من مشاهد يوم القيامة يصور زوال ملك الملوك أمام ملك الله – تعالى – ، وهو تذكير بعظمة الله ، وتحذير من الغرور والتكبر.

أما السموات السبع بِعِظَمِهَا فهي تحت تصرفه – تعالى– وهي طوع مشيئته ، وقد شُبّهت حالتها وهي منقادة له – تعالى – بالشيء المطوي (كالكتاب مثلاً) " في يمين منقاد له فهو يطويه وينشره كلما شاء ، وخصَّ اليمين ؛ لأنها أشرف اليدين وأقواها، ثمَّ حذف المشبه واستعير المشبه به للمشبه " [٦] على سبيل الاستعارة التمثيلية ، وقد صورت الاستعارة تصرف الله المطلق في السموات على عظمها واتساعها بكل أجرامها وأفلاكها ، وهذا التصرف المطلق دليلٌ على عظمته تعالى واتساع ملكه .

---

(١) فتح البيان : ٨٣/٦ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٨٣/٦ .

(٣) ينظر : البيان في ضوء اساليب القرآن : ١٩٠ .

(٤) ينظر : فتح البيان : ٨٣/٦ .

(٥) جزء من حديث عن أبي هريرة : فتح الباري شر صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني : ٢٦٧/١٣ .

(٦) البيان في ضوء اساليب القرآن : ١٩٠ .

قال ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) : " والمراد من الكلام تصوير عظمته – تعالى – ، والتوقيف على كنه جلاله " [١] .

الموضع الخامس

قال الله – تعالى – : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝﴾ الحاقة : ١١–١٢ .

بعد أن يئس سيدنا نوح (عليه السلام) من قومه ، دعا الله – تعالى – بأن يهلكهم فقال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ نوح : ٢٦ . فأرسل الله عليهم الطوفان ، وبعد أن صارت السماء أبواباً وفتحت بلحظة واحدة ،و تفجرت الأرض عيوناً تتدفق ماءً والتقى ماء السماء وماء الأرض عند ذلك (طغا الماء) وعلا وارتفع ، قال – تعالى – : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝﴾ القمر : ١٠–١١–١٢ .

والجملة الخبرية (إنا لما طغا الماء حملناكم) تبدأ بأداة التوكيد (إنَّ) للتأكيد على الأمر العظيم والخطب الكبير دلالة على عظمة الله ومقدرته المطلقة وسرعة إجابته لنداء سيدنا نوح (عليه السلام) وقوله : (طغا الماء) مجاز بالاستعارة قال الزمخشري (٥٣٨هـ) : " ومن المجاز (طغى) البحر والسيل، وتطاغى الموج " [٢] ، وهذا المجاز استعارة تمثيلية من استعارة المعقول للمحسوس ؛ لأن أصل الطغيان من (طغى الظالم) وهو أمر معقول ، و (طغا الماء) أمرٌ محسوس ، وقد اشتركا في أمر معقول وهو (العلو والارتفاع) ، وهي استعارة مركبة ، فالمستعار (الطغي) من الطغيان وهو الاستعلاء المنكر،

(١) البحر المديد : ٥/١٠٠ .

(٢) أساس البلاغة : ١/٦٠٦ .

والمستعار منه كل شيء مستعلٍ متكبر متجبر مُضِر، والمستعار له (الماء) ، و (الطغي) معقول، و (الماء) محسوس ، والمستعار منه (كل مستعلٍ متكبر ... الخ) محسوس [١] .

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : " والطغيان : مستعار لشدته الخارقة للعادة تشبيهاً لها بطغيان الطاغي على الناس، تشبيه تقريب، فإن الطوفان أقوى شِدَّة من طغيان الطاغي " [٢] .

والاستعارة هنا على سبيل التمثيل، إذ يكون اللفظ المستعار فيها لفظاً مركباً من أكثر من معنى[٣] ، تصور حالة رهيبة عظيمة وهول مفزع واستعلاء للماء بعد أن تجاوز حده في الارتفاع والعلو ، وزاد على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعاً [٤] .

روي عن سيدنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) : " إن الماء طغا وخرج عن طاعة خزانه من الملائكة غضباً لربه فلم يقدروا على حبسه " [٥] .

وقال سيدنا ابن عباس (٦٨هـ) (سلام الله عليهما) : " (طغى) الماء على خزانه فنزل ولم ينزل من السماء ماء إلا بمكيال أو ميزان إلا زمن (سيدنا) نوح فإنه (طغى) فنزل بغير كيل ولا وزن " [٦] .

وكذا روي عن تلميذ ابن عباس سيدنا سعيد ابن جبير (٩٥هـ) (رضي الله عنه) قال : " لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزان ، إلا حيث طغى الماء، فإنه قد غضب لغضب الله ، فطغى على الخزان فخرج ما لا يعلمون ما هو " [٧] ، وطغيان الماء وغضبه لغضب الله – تعالى – يوحي بعظمة الله وشدة بطشه بالقوم الكافرين .

والفرق بين رسم (طغى) بالألف المقصورة ، ورسم (طغا) بالألف الممدودة ، أن (طغى) تختص بالطغيان المعنوي ، كقوله – تعالى – : ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ طه : ٢٣ . والموضع الوحيد الذي

---

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم ، محمود صافي : ٦٢/٢٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢٣/٢٩ .

(٣) ينظر: البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ، عبد الرحمن الميداني : ٢٦٥/٢ .

(٤) ينظر : فتح البيان : ١٦٨/٧ .

(٥) روح المعاني : ٤٧/١٥ .

(٦) فتح البيان : ١٦٨/٧ .

(٧) جامع البيان ، الطبري : ٥٧٧/٢٣ .

وردت فيه لفظة (طغا) بالألف الممدودة أو القائمة في هذا الموضع وهو طغيان مادي –والله اعلم– [١].

قوله – تعالى– : (حملناكم في الجارية) أي : حملناكم وأنتم في أصلاب أجدادكم تغليباً للمخاطبين على الغائبين [٢] .

قال الطبري (٣١٠هـ) : " وقيل حملناكم فخاطب الذين نزل فيهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحاً وولده ؛ لأنَّ الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية ، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملاً لذريتهم " [٣] . وأطلق على ما حملهم به (الجارية) وهي السفينة ؛ لأنها تجري في الماء مراعاة لحالها وهي تجري .

والجارية : صفة لمحذوف وهي (السفينة) ، وقد شاع هذا الوصف حتى صار بمنزلة الاسم ، قال – تعالى – : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ الرحمن : ٢٤ [٤] .

أما أصل (الحمْل) في قوله : (حملناكم) : ما يحمل على الظهر ونحوه ، وعلى ظهره حمل[٥] ، " وأطلق هنا على الوضع في ظرف متنقل على وجه الاستعارة " [٦] .

والاستعارة في (طغا الماء) و(حملناكم) حركية تدلُّ على سرعة قضاء الله ؛ لأنهما في فعلين (طغا) (حمل) الاستعلاء في (طغا الماء) وإغراق القوم الكافرين المعرضين ، والرحمة في (حملناكم) بنجاه المؤمنين المصدقين بدعوة سيدنا نوح (عليه السلام) .

---

(١) ينظر اختلاف المعاني لاختلاف الرسم القرآني ، موقع (علمتني سورة) 3alamatnisuraj.com .

(٢) ينظر: فتح البيان : ١٦٨/٧ .

(٣) جامع البيان : ٥٧٨/٢٣ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة : ٢١٤/١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١/ ٢١٤ .

(٦) التحرير والتنوير : ١٢٣/٢٩ .

ثم يأتي المجاز العقلي في اسناد (الحمل) إلى الذات العلية في (حملناكم) ، فالضمير يعود إلى الله ؛ وهو مجاز بالإسناد ، أي : مجاز عقلي ، لأن الذي بنى السفينة ودعا الناس وغيرهم من المخلوقات هو سيدنا نوح (عليه السلام) ، " بناءً على أنه أوحي إلى نوح بصنع الحاملة ووضع المحمول " [١] . بقوله – تعالى – : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ المؤمنون: من الآية : ٢٧ .

قال الآلوسي (١٢٧٠هـ) : " أي : رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا " [٢] ، ثم ذكر تنبيهاً يبين عظمة الله – تعالى – في نجاة القوم المؤمنين فقال : " وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته – عز وجل – ، وإنما السفينة سبب صوري " [٣] ، لأن الأمر أمره والشأن شأنه وما السفينة إلا أداة مسخرة ، وهي مجرد خشب مرصوف ومسامير وحبال، قال – تعالى – : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ القمر : ١٢ .

وتتجلى عظمة الله – تعالى – في اسناد الحمل له – تعالى – ؛ لأنَّ الأمر أمره والشأن شأنه وهو المتحكم في الماء وفي السبب البسيط (السفينة) ، وفي هذا الحدث العظيم ، وهذا الإهلاك الكبير، والغضب الإلهي والمعجزة في إهلاك الكافرين ، وفي المقابل نجاة المؤمنين وحمل ما ينتفعون به من الحيوانات .

ثم يبين الله – تعالى – الحكمة والغاية والموعظة من هذا الحدث العظيم ، (الطوفان والحمل في الجارية) فيقول : ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ ، واللام في (لنجعلها) للتعليل ، أي: إن ما جرى وما حدث ما هو إلا " تذكير البشر به على تعاقب الإعصار ليكون لهم باعثاً على الشكر، وعِظَةً لهم من أسواء الكفر ، وليخبر بها من عَلِمَها قوماً لم يعلموها فَتَعِيَها أسماعهم " [٤] .

---

(١) التحرير والتنوير: ١٢٣/٢٩.

(٢) روح المعاني : ٤٩/١٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٩/١٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٢٣/٢٩ .

وذهب الآلوسي (١٢٧٠هـ) إلى أن تنكير (أذن) للدلالة على قلتها [١] . فالقلة من الناس من يتذكر ويعي ويعتبر.

أما ابن عاشور (١٣٩٣هـ) فإنه أشار إلى أن تنكير (أذن) يدل على العموم . مثلها مثل كلمة (نفس) في قوله – تعالى – : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ الحشر: ١٨ . أي : كل نفس [٢] .

ورأي الآلوسي أوجه لقلة من يتذكر ويعتبر بأخبار الأمم السابقة.

أما ابن عاشور عند ما شبه (أذن) بـ (نفس) ، فنقول هناك فرق، فالأذن في الدنيا هي التي تعي وتعتبر ، و (نفس) في الآخرة ، وكل نفس في الآخرة تعلم ما أحضرت وقدمت، أما في الدنيا فقليل من الآذان من تعي وتسمع – والله أعلم – .

وأورد الآلوسي في تفسيره خبراً عن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه قال لسيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) : " إني دعوت الله – تعالى – : أن يجعلها أُذنك يا **علي** ، قال **سيدنا علي** : فما سمعت شيئا فنسيته ، وما كان لي أن أنسى " [٣] .

الخاتمة والنتائج

١– **عظم الله** – تعالى– نفسه في القرآن الكريم **تعظيماً** في غاية الجلال والكمال، وأوضَحَ ذلك بأساليب مختلفة تنوعت بتنوع مواضيع القرآن الكريم ، كأسلوب **الخبر** المُنبئ عن عظمته – عز وجل – وأسلوب **الإنشاء** (الأمر والاستفهام) ، وأسلوب **التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والطباق والمقابلة** وغيرها من الأساليب البلاغية التي ولّدت **دلالات** وفجرت معاني موحية.

٢– من خلال الدلالات البلاغية تجلت **عظمة الله** – تعالى– بإظهار **ملكه التام** ، وأن الملك في الحقيقة له _تعالى _ وما لغيره عارية مستردة، فهو (مالك الملك)، وهي صفة خاصة به –تعالى–،

(١) ينظر : روح المعاني : ٤٩/١٥ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢٣/٢٩ .

(٣) روح المعاني : ٤٩/١٥ .

وبيان بديع صنعه في مخلوقاته ومقدرته المطلقة وأمره النافذ دون تراخٍ، فهو الخالق القادر **العظيم** المتصرف بكل شؤون الكون الفسيح، وأن مخلوقاته تغضب لغضبه هيبة وعظمة له مثلما **طغا الماء** وخرج عن أمر الخزان **غضباً** لله ـ تعالى ـ في قصة سيدنا نوح (عليه السلام) .

٣- ترجَّح قول الآلوسي في تفسير(أذن واعية) أن تنكير أذن يدّلُ على القلة، لقلة من يتعظ بأخبار الأمم السابقة وبدليل وصف(أذن واعية)، على خلاف قول ابن عاشور الذي ذهب إلى أن التنكير يدل على(الكثرة) دون الالتفات للتقيد بـ (واعية) –والله أعلم).

٤- آيات **العظمة** في كتابه ـ تعالى ـ **تحذرنا** من الغرور والتكبر وتحذرنا من سلوك مسلك الطغاة ، فهي خطابٌ يوحي بعظمته – تعالى– ، يخاطب الناس عامة والمؤمنين خاصة ويصور لهم عظمته . تعالى . ، فيزداد الذين آمنوا إيمانا وحبا وشوقا . لذا علينا أن نخضع لأوامره ونجتنب نواهيه ، وأن نتحلى بصفاتِ العبودية ؛ لأنَّ استشعارنا لعظمته – تعالى– يقتضي الخوف منه والسعي لرضاه ، ويكون صلاحاً للفرد ، وصلاح الفرد صلاح للمجتمع ، ونحن بأمس الحاجة لصلاح الفرد والمجتمع في زمان طغت فيه المادية وعبثت فيه رياح الأنانية وحب الذات .

المصادر والمراجع

١.أحكام القرآن ، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد صادق القحماوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، ١٤٠٥هـ .

٢.اختلاف المعاني لاختلاف الرسم القرآني ، موقع : (علمتني سورة) . ٣alamatnisurah.com .

٣.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٤.أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٠ .

٥.البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، د . ط ، ١٤٢٠هـ .

٦.البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) تحقيق : أحمد عبدالله القرشي رسلان ، الناشر : حسن عباس زكي ، القاهرة ، د . ط ، ١٤١٩هـ .

٧. البلاغة العربية (أسسها ، وعلومها ، وفنونها) ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣١-٢٠١٠ .

٨. البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان – الأردن الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٩. البيان في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .

١٠. التبيان في البيان ، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) ، تحقيق : توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله ، منشورات جامعة الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

١١. التحرير والتنوير ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) : الدار التونسية للنشر ، تونس ، د . ط ، ١٩٨٤م .

١٢. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (٧٣٩هـ) ، دار السراج ، اسطنبول ، الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م .

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة : الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

١٤. الجدول في إعراب القرآن وصرفة وبيانه ، محمود بن عبدالرحيم صافي (١٣٧٦هـ) ، دار الرشيد ، دمشق – بيروت ، مؤسسة الإيمان الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ .

١٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٥٧٥هـ) ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، د . ط ، د. ت .

١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي (١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، ترتيب : محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د . ط ، ١٣٣٩هـ .

١٨. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) ، تحقيق : إياد أحمد الغوج وجميل بني عطا ، الناشر : جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، الأردن ، الطبعة الأول ، ١٤٣٤ – ٢٠١٣م .

١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ) ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢م .

٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن المعروف بالخازن (٧٤١هـ) ، تصحيح : محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ .

٢١. لطائف بلاغية قرآنية ، أحمد فتحي رمضان الحياني (رحمه الله) ، دار الخليج للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٢١م .

٢٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ)، طبع بواسطة وزارة المعارف العمومية ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ، الطبعة الثامنة، ١٩٣٩هـ.

٢٣. معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

٢٤. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر ، د . ط ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٢٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

٢٦. النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د . ط ، د . ت .

Sources and references

١. The Rules of the Qur'an by Ahmad ibn Ali Abu Bakr Al-Razi Al-Jassas Al-Hanafi (٣٧٠ AH), edited by Muhammad Sadiq Al-Qaharmawi, Dar Al-Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, print not specified, ١٤٠٥ AH.

٢. Differences in Meanings Due to Variations in Qur'anic Script – from the website: (ealamatni sura) (Alamnatnisurah.com).

٣. Guidance of a Sound Mind to the Merits of the Noble Book by Abu Sa'd Al-Amadi Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (٩٨٢ AH), Dar Al-Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, print not specified.

٤. Foundation of Eloquence by Jamal Al-Din Al-Zamakhshari (٥٣٨ AH), edited by Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon, second edition, ٢٠١٠.

٥. The Ocean of the Seas (Al-Bahr Al-Muhit) by Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Hayyan Al-Andalusi (٧٤٥ AH), edited by Sadaqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, print not specified, ١٤٢٠ AH.

٦. Al-Bahr Al-Madeed fi Tafsir Al-Qur'an Al-Majeed by Abu Al-Abbas Ahmed ibn Muhammad ibn Al-Mahdi ibn Ajiba Al-Hasani Al-Fasi Al-Sufi (١٢٢٤ AH), edited by Ahmed Abdullah Al-Qurashi Raslan, published by Hassan Abbas Zaki, Cairo, print not specified, ١٤١٩ AH.

٧. Arabic Eloquence (Its Foundations, Sciences, and Arts) by Abdul Rahman Hassan Habenkah Al-Midani, Dar Al-Qalam, Damascus; Al-Shamiyya Publishing House, Beirut, ٣rd edition, ١٤٣١-٢٠١٠.

٨. Eloquence: Its Arts and Foliage (The Science of Bayan and Badi) by Fallah Hassan Abbas, Dar Al-Furqan, Amman-Jordan, first edition, ١٤٠٧ AH - ١٩٨٧ AD.

٩. Al-Bayan in Light of the Methods of the Qur'an by Abdul Fattah Lashine, Dar Al-Ma'arif, Cairo, first edition, ١٩٩٧.

١٠. Al-Tibyan in Eloquence by Sharaf Al-Din Al-Hussein ibn Muhammad ibn Abdullah Al-Tibi (٧٤٣ AH), edited by Tawfiq Al-Fayl and Abdul Latif Lutf Allah, Kuwait University Publications, first edition, ١٩٨٦ AD.

١١. Al-Tahrir wa Al-Tanweer (Exegesis of the Clear Meaning and Enlightenment of the New Mind in the Explanation of the Noble Book) by Muhammad Al-Tahir ibn Ashour Al-Tunsi (١٣٩٣ AH), Tunisian Publishing House, Tunisia, print not specified, ١٩٨٤ AD.

١٢. Tadleek Al-Miftah fi Al-Ma'an wa Al-Bayan wa Al-Badi by Jalal Al-Din Muhammad ibn Abdul Rahman Al-Qazwini (٧٣٩ AH), Dar Al-Siraj, Istanbul, first edition: ١٤٤١ AH – ٢٠١٩ AD.

١٣. Al-Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by Muhammad ibn Jirir ibn Yazid ibn Kasir ibn Ghalib al-Amili, Abu Ja'far al-Tabari (٣١٠ AH). Edited by Ahmad Muhammad Shakir. Publisher: Al-Resalah Foundation. First edition, ١٤٢٠ AH / ٢٠٠٠ AD.

١٤. Al-Jadwal fi I'rab al-Qur'an wa Sarfih wa Bayanih by Mahmoud ibn Abdul Rahim Safi (١٣٧٦ AH). Dar Al-Rashid, Damascus - Beirut. Al-Iman Foundation. Fourth edition, ١٤١٨ AH.

١٥. Al-Durr al-Masoon fi 'Ulum al-Kitab al-Maknoun by Abu Al-Abbas Shihab al-Din Ahmad ibn Yusuf, known as Al-Samin Al-Halabi (٥٧٥ AH).

Edited by Dr. Ahmad Muhammad Al-Khattab. Dar Al-Qalam, Damascus. No date of publication.

١٦. Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-Azim wa As-Sab' al-Mithani by Shihab al-Din Mahmoud ibn Abdullah Al-Alusi (١٢٧٠ AH). Edited by Ali Abdul Bari Atiyah. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon. First edition, ١٤١٥ AH.

١٧. Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari by Ahmad ibn Ali ibn Hajar Al-Asqalani (٨٥٢ AH). Arranged by Muhammad Fuad Abdul Baqi and Muhib ad-Din Al-Khatib. Dar al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon. No date indicated, ١٣٣٩ AH.

١٨. Futuh al-Ghayb fi Al-Kashf 'an Qina' al-Reib (The Hidden Conquests in Unveiling the Veil of Doubt) — the commentary by Al-Tibi on Al-Kashshaf. By Sharf al-Din Al-Hussein ibn Muhammad ibn Abd Allah Al-Tibi (٧٤٣ AH). Edited by Iyyad Ahmad Al-Ghawsh and Jamil Bani A'ta. Publisher: Dubai International Quran Award, Jordan. First edition, ١٤٣٤ AH / ٢٠١٣AD.

١٩. Al-Kashaf 'an Haqa'iq at-Tanzil wa 'Uyoon al-Aqwal fi Wujuh at-Ta'wil by Jarrar Allah Mahmoud Al-Zamakhshari Al-Khawarizmi (٥٣٨ AH). Edited by Khalil Ma'moun Shihha. Dar Al-Ilm, Beirut, Lebanon. First edition, ١٤٢٣ AH / ٢٠٠٢ AD.

٢٠. Lubbab at-Ta'wil fi Ma'ani at-Tanzil by Alaa ad-Din Ali ibn Muhammad ibn Ibrahim, known as Al-Khazin (٧٤١ AH). Edited by Muhammad Ali Shaheen. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon. First edition, ١٤١٥ AH.

٢١. Latā’if Balāghiyyah Qur’āniyyah by Ahmad Fathi Ramadan Al-Hayani (may Allah have mercy on him). Dar Al-Khaleej for Publishing and Distribution, Amman, Jordan. First edition, ٢٠٢١ AD.

٢٢. Al-Misbah Al-Manir fi Gharib Ash-Sharh al-Kabir by Ahmad ibn Muhammad ibn Ali Al-Maqrizi Al-Fayoumi (٧٧٠ AH). Printed by the Ministry of Public Education, Al-Amiriyah Printing House in Bulaq, Cairo. Eighth edition, ١٩٣٩ AH.

٢٣. Ma'ālim al-Tanzīl fi at-Tafsir wa at-Ta'wīl by Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ūd ibn Muhammad ibn al-Fārā'ī al-Baghawi (٥١٠ AH). Edited by Abd al-Razzaq al-Mahdi. Dar Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Beirut. First edition, ١٤٢٠ AH.

٢٤. Mu'jam Maqāyīs al-Lughah by Abu al-Ḥasan Aḥmad ibn Fāris ibn Zakariyā al-Qazwīnī al-Rāzī (٣٩٥ AH). Edited by Abd al-Salām Muḥammad Harun. Dar al-Fikr. No date of publication, ١٣٩٩ AH / ١٩٧٩ AD.

٢٥. Miftāḥ al-Ghayb (Al-Tafsīr al-Kabīr) by Abu Abdullah Muḥammad ibn ʿUmar ibn al-Ḥasan ibn al-Ḥusayn al-Taymī al-Rāzī (٦٠٦ AH). Published by Dar Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Beirut. Third edition, ١٤٢٠ AH.

٢٦. Al-Nukat wa al-'Uyūn by Abu al-Ḥasan ʿAlī ibn Muḥammad al-Baghdādī al-Māwirdī (٤٥٠ AH). Edited by Al-Sayyid ibn ʿAbd al-Maqsūd ibn ʿAbd ar-Raḥīm. Dar al-Kutub al-ʿIlmīyah, Beirut, Lebanon. No date specified.